سؤال الأنطولوجيا – من مبحث الأسطقسات إلى مبحث الدازاين–

The question of anthology- From the study of elements to the study of dasein

La question de l'anthologie-De l'étude des éléments à l'étude du dasein-

واعـر آسيـا [1] *

تاريخ الإرسال: 2021/06/15 تاريخ القبول: 2021/11/02 تاريخ النشر: 2022/12/02

ملخص:

يعتبر المبحث الأنطولوجي من المباحث التي لاقت اهتماما واسعا في الدرس الفلسفي، ذلك أنّ البحث في هذا الوجود والموجود قد شغل – ولايزال– الفكر الإنساني منذ أمد بعيد، وإذا كان الهم الفلسفي ينطوي في البحث عن حقائق وجوهر الأشياء، فإنّ البحث عن حقيقة الوجود والموجود قد أخذ النصيب الأوفر من انشغال العقل الفلسفي، وهذا ما تهدف إليه ورقتنا البحثية هذه من خلال تبيان السياق الذي تضمنه البحث الأنطولوجي في تاريخ الفكر الفلسفي وتحديدا ما تضمنته الفلسفة الطبيعية في السؤال الكزمولوجي وتحليله وفق مواد أولية – الأسطقسات– من الطبيعة إلى سؤال الوجود والموجود من جانبه الميثافيزيقي وحقيقة بعده الأنطولوجي – الدازاين–؛ اقتضت الدراسة اعتماد المنهج التحليلي والمتضمن بدوره المنهج التحليلي والمنهج المقارن مما أسفر عن نتائج نرى أنّ لها من القيمة العلمية والمعرفية ما يزيد من ضبط ودقة تحليل سؤال الوجود والموجود في الفكر الفلسفي.

الكلمات المفتاحية: الأنطولوجيا؛ الأسطقسات؛ الدازاين، بحث، الحقيقة.

Abstract :

The search for the reality of existence has taken a part of the preoccupation of the philosophical mind, And this is what our research paper aims to do by showing the context in which epistemological research is integrated into the history of philosophical thought, and more precisely what natural philosophy includes in the Cosmological question. Analysis according to preliminary materials, From nature to the question of the existence and reality of its Ontological dimension -Dasein-, The study required the adoption of the analytical approach, which in turn incorporated the analytical approach and the comparative approach, resulting in results that we believe to have a scientific and cognitive value that increases the control and precision of the analysis of the question of existence found in philosophical thought

Keywords: Anthology; Elements; Dasein; the study; Truth.

Résumé :

La recherche de la réalité de l'existence a pris une grande part de la préoccupation de l'esprit philosophique. Et c'est ce que notre document de recherche vise à faire en montrant le contexte dans lequel la recherche épistémologique est intégrée dans l'histoire de la pensée philosophique, et plus précisément ce que la philosophie naturelle inclut dans la question Cosmologique. Analyse

*المؤلف المراسل

[1]Ouar Assia, Faculty of Literature, Humanities and Social Sciences, University of Annaba, assia.ouar@univ-annaba.dz

selon matériaux préliminaires, De la nature à la question de l'existence et de la réalité de sa dimension Ontologique –Dasein-, L'étude exigeait l'adoption de l'approche analytique, qui à son tour incorporait l'approche analytique et l'approche comparative, résultant en des résultats que nous croyons avoir une valeur scientifique et cognitive qui augmente le contrôle et la précision de l'analyse de la question de l'existence trouvée dans la pensée philosophique
Mots clés: Ontologie ; Eléments; Dasein ; L'étude ; Vérité.

مقدمة

يمكن القول أنّ البحث في الوجود والبحث في الموجود قد شكل – ولا يزال – محور إنشغال الفكر الإنساني عامة والفكر الفلسفي خاصة، حتى يمكن القول أنّ المباحث الأنطولوجية إنما هي بمثابة ركيزة الممارسة الفلسفية من تحليل ومن إعمال للعقل، أسئلة كبرى أراد أن يجد لها الإنسان حلا بغية تحقيق الشغف العلمي والسعي الدؤب وراء تحصيل حقائق الأمور ومجرياتها، إنشغال لم يكن بحديث العهد وإنما كان منذ عصور ما قبل الميلاد واستمر بأسئلة متباينة في ماهيتها حتى إلى الوقت الراهن، وإذا أردنا أن نحدد إشكال ورقتنا البحثية هذه فإنا نسيقه في حيز التسؤال عن حقيقة الكون وحقيقة الكينونة وبشيء من الدقة فيم يتمثل السؤال الأنطولوجي؟ وهذا من شقيه الكزمولوجي والروحاني؟ أي البحث في حقيقة هذا الوجود من الجانب المادي وما يتضمنه من أسئلة كبرى كحقيقة مصدر الكون ومادته الأولى وقد حملت الفلسفة الطبيعية لواء البحث والدرس في هذا، إلى البحث عن كنه وجوهر حقيقة الوجود الإنساني وهذا ما حملت الفلسفة الوجودية على عاتقها تحليله وتبيانه، الأمر الذي تهدف إليه ورقتنا البحثية وهو تبيان طبيعة البحث في هذا المجال – المجال الأنطولوجي– وكيف كان في بداياته الأولى مرتبطا بالجانب الحسي الظاهري المادي حتى وإن تخللته لمسات ماورائية في بعض من جوانبه؛ إلا وأنه ورغم الإنتقادات الموجهة والمتمثلة في لاعلمية هذه الآراء إلا أننا نرى أنه قد كان لها ما يقارب جانبا كبيرا من الصدق في آراءها وهذا ما ثبته العلم الحديث بعد قرون عدة، ليكون هناك إعمالا تجاوز السؤال الظاهري المادي إلى السؤال الميثافيزيقي، وهذا مع واحد ممن حملوا لواء الفكر الفلسفي الألماني ألا وهو **"مارتن هيدجر"**.

إنّ طبيعة دراستنا اقتضت اعتماد المنهج التحليلي والذي بدوره يتضمن المنهج النقدي والمقارن مما أسفر عن نتائج نرى لها من القيمة العلمية والقيمة المعرفية ما يضبط مما كان في المبحث الأنطولوجي بشقيه المادي والمتعال، وتحليل هذا يكون في العناصر التالية:

1– المدرسة: (الميليسية– الأيونية) وسؤال الكون –الوجود وأصل مادة الكون–

يمكن القول أنّ القضية الأولى التي شغلت الفكر الإنساني منذ عصور ماقبل الميلاد إلى يومنا هذا هي قضية أصل الوجود، وما نلمسه في الرؤى الفلسفية الأولية التي جاءت في هذا الموضوع والتي قد عنيت في البحث عن أصل مادة الكون وعن الإجابة على سؤال فيم تمثلت مادة الكون؟، وكيف خلق؟، وإلى أي شيء ينتهي؟؛ أسئلة شكلت سجالا وتضاربا في الآراء والمواقف التي أدلى بها العقل اليوناني في أول إعمال له وهذا في "أعرق وأقدم مدرسة كزمولوجية علمية بمدينة ميليتوس" (BURNET, 1919, p. 37) أرادت أن تفلسف حقيقة هذا الوجود من وجهة نظرها، يمكن أن نشير إلى هذا وبشيء من التفصيل في النقاط التالية:

1–1 طاليس Thalès (624– 547) ق.م – الماء كمادة أولية لخلق الكون–

طاليس فيلسوف يوناني من ملطية وهي ثغر يوناني في أسيا الصغرى، كان حكيما من ذوي الاهتمامات الكثيرة كالفلسفة والرياضيات والفلك (رى، 2013، صفحة 199)؛ وما يمتاز به في الساحة الفكرية أنه ما إذا شرعنا في تحليل مباحث الحقل المعرفي الأنطولوجي، إلا ويكون ما أتى به طاليس في مقدمة الأمر، ذلك أنه ذهب إلى أنّ "الماء هو الأصل الأول لكل شيء، ويقول أنّ الأرض ماهي إلا ماء وجماد، والهواء هو ماء ثقيل الزنة، وأنّ جميع الأشياء تتغير دائما من حالة إلى حالة، إلى أن يؤول أمرها إلى رجوعها ماء، وأنّ سائر ما في الكون لا يخلو عن إحساس ما، وإنه مملوء بما لايدركه الطرف من المخلوقات، وكلها متحركة ذات أرواح، وأنّ الأرض في وسط العالم تتحرك على مركزها الأصلي، الذي هو عين مركز العالم، لأنها من حيث كونها موضوعة على مياه البحار، ثبت لها هذا الإضطراب الذي كان سببا في تحركها" (المليطي، 2007، صفحة 9)، يتبين من خلال هذا أنّ "طاليس" قد أرجع المادة الأولية التي خلق منها هذا العالم إلى الماء، جعل منه المبدأ الأول والأخير في عملية الخلق وليس هذا فحسب، فقد ذهب إلى أنه ما من شيئ إلا ويدخل في تركيبته عنصر الماء، فحقيقة التربة –الأرض– هي ماء تجمد عبر مراحل التاريخ، والهواء الذي نستنشقه يدخل في تركيبه الماء، ومهما تغيرت الأشياء فإنّ مآلها إلى تركيبتها وإلى عنصرها الأول وهو الماء.

تعتبر قضيية إرجاع الموجودات إلى أصلها الأول –الماء– من المذاهب القديمة للفكر اليوناني، ذلك أنّ هوميروس قد ذهب في غير ما موضع إلى أنّ "أوكيانوس (المحيط) هو أصل الآلهة والمصدر الأول لها" (كيلاني، 2009، صفحة 20)، وكذلك جاء في الأسطورة البابيلية "في البدء قبل أن تسمى السماء وقبل أن يعرف للأرض إسم كان المحيط وكان البحر، وكذا ورد في قصة مصرية: في البدء كان المحيط المظلم أو الماء الأول حيث كان أتون وحده الإله الأول صانع الآلهة والبشر والأشياء" (كيلاني، 2009، صفحة 20)، وإذا كانت هذه الآراء والمواقف قائمة على أساس ميثولوجي بالدرجة الأولى فإنا

نلمس العلمية في الموقف الطاليسي وهذا في الحجج التي اعتمدها وعزز بها رأيه، خاصة حين نتأمل في البنية التركيبية للنبات والحيوان وهذا في أنهما "يتغذيان بالرطوبة، ومبدأ الرطوبة الماء، فما منه يتغذى الشيء فإنه يتكون منه بالضرورة، ثم أنّ النبات والحيوان يولدان من الرطوبة حيث الجراثيم الحية رطبة، وما منه يولد الشيء فإنه يتكون منه بالضرورة، بل أنّ التراب يتكون من الماء ويطغى عليه شيئا فشيئا كما يشاهد في الدلتا المصرية وفي الأنهار الأيونية حيث يتراكم الطمى عاما بعد عام وما يشاهد في هذه الأجزاء من الأرض ينطبق على الأرض إجمالا، فالأرض خرجت من الماء وصارت قرصا طافيا على وجهه كجزيرة كبرى في بحر عظيم" (كيلاني، 2009، صفحة 21)، وفي موضع آخر (الأهواني، 1954، صفحة 51) يعد طاليس مؤسس هذا الضرب من الفلسفة يقول بأنّ المبدأ هو الماء وهذا هو السبب في قوله إنّ الأرض تطفو فوق الماء، ولاريب في أنّ الذي أدى به إلى هذا الإعتقاد ملاحظته أنّ جميع الأشياء تتغذى من الرطوبة، وأنّ الحار نفسه ينشأ عنها ويحيا بها، لأنّ ما تنشأ عنه الأشياء هو مبدؤها وهذا أساس تصوره، فضلا أنه رأى أنّ بذور جميع الأشياء رطبة بالطبع ، فقدماء الكونيين الذين وجدوا في الأزمان الغابرة قد كانوا أول من فكروا في الآلهة وتصوروا الطبيعة على هذا النحو، فهم يجعلون إقيانوس وتيثس أصلين للكون، ويجعلون الآلهة تحلف بالماء الذي يسميه الشعراء ستيكس.

إذا اهتدى العقل اليوناني إلى القول بأسطقس الماء كمبدإ أول للخلق، نجد أنّ هناك من حصر المبدأ في أسطقس آخر غير الماء وتفصيل هذا في مايليك

1-2 .أنكسمندريس Anaximendris (610- 545)ق.م -الأبيرون -اللانهائي كمادة أولية لخلق الكون-

فيلسوف طبيعي يوناني، كان من بين جهوده أن وضع خريطة مشهورة للعالم. يرى أنّ أصل الأشياء مادّة أولى غير متعينة وغير محدّدة يخرج منها كل شيء ويعود إليها كل شيء (رى، 2013، صفحة 73)، انكب أنكسيمندريس على درس إشكال أصل الوجود، وبدوه تمحور سؤال البحث عن المادة الأولية التي انبثق منها هذا الوجود وصدرت أجزاءه منها، فلم يجد إجابة مناسبة شفت غليل عطشه المعرفي سوى بإرجاعه إلى اللانهائي أو الأبيرون، وتعد "ظاهرة من مزيج لأضداد: كالحار والبارد، اليابس والرطب، كما يمتاز بالسرمدية، وعنه تكونت الأشياء، فترتد إلى العنصر الذي نشأت منه، وبهذا تنشأ في الكون من هذا، أي من اللانهائي" (ياسين، 2012، صفحة 39)، وإذا تساءلنا عن كيفية نشوء الأشياء عن اللانهائي، نجد أن أنكسمندريس قد قال بحدوث هذا من خلال الإنقصال الديناميكي "فالأبيرون نفسه يعد سبب الانفصال المباشر الذي أدى إلى نشأة الكون، فبحركة المادة تنفصل الأشياء بعضها بعضا كما تجتمع بعضها ببعض، والأبيرون كل متجانس لايوصف بكم نهائي ولا بكيف محدد، لتظهر صور الإنفصال: البارد أو الرطب وهو في المركز، ثم تغلفه دائرة الهواء فدائرة اللهب فدائرة النار، وبفضل هذه الحركة الانفصالية الخالدة تحدث العوالم والكائنات" (ياسين، 2012، الصفحات

39–40)، فاللامتناهي خالد لايفنى، هو مادة أولى لامتناهية لامعينة"من حيث الكيف، ولا محدودة من حيث الكم، هي مزيج من الأضداد جميعا، كالحار والبارد، اليابس والرطب،، وهذا اللامتناهي أزلي لا زمن له تصدر عنه كل السموات والعوالم الموجودة في هذه السماوات والحركة الأزلية هي أصل العالم " (كيلاني، 2009، صفحة 24)، إلا أننا نتساءل دوما عن سبب التغير والدافع إليه؟ ثم نتساءل أيضا عن كيفية ومنحى هذا التغير؟، إشكالات يقوم عليها الرأي دون أن يضع لها أنكسمندريس تحليلا شافيا يفصل فيه حركة اجتماع الأضداد فيما بينها وحركة انفصالها أيضا.

ليسترسل البحث عن شرعية الأسطقس ودوره الفعال في التأسيس الأنطولوجي وهذا مع:

1–3 أنكسمانس Anaximène (586– 528)ق م – الهواء المادة الأولية لخلق الكون–

فيلسوف طبيعي يوناني، ذهب إلى نفس ما ذهب إليه طاليس في الاعتقاد بأنّ هناك مبدءا أولا خلق منه هذا الكون، إلا أنه اختلف معه في ماهية هذا المبدا الذي أرجعه إلى الهواء، باعتبار أنّ الجوهر الأول الذي أمد صفة الوجود لهذه الأشياء هو واحد لانهائي، وبهذا كان ويكون وسيكون منه كل هذه الموجودات، بل حتى أنّ الآلهة قد نشأت منه كما تفرعت باقي الأشياء، والهواء الذي يتخده أنكسمانس كمادة أولية لخلق هذا العالم يقارب في دلالته ما اصطلح عليه أستاذه أنكسمندريس في القول بالأبيرون الذي يحتوى فكرة الأضداد، فكذا الهواء عند أنكسمنس، فالهواء عند هذا الأخير "يتخذ بحركته الصور المختلفة للتكاثف والتخلخل فيصبح مرئيا: ففي تمدده يصبح نارا، وعند تلبده يصبح سحابا، وعند تكاثفه الشديد يستحيل ماء، وإذا تكاثف الماء أصبح أرضا، وإذا زاد تكاثفه أصبح صخرا" (ياسين، 2012، صفحة 41)، والملاحظ هنا أنّ الهواء يمد الأشياء بصفة الوجود بحسب درجة كثافته، ولقد انتبه انكسمنس إلى الهواء لما كان هذا الأخير من أهمية بالغة في الوجود الإنساني والذي لاتكون له بأي حال من الأحوال أية تنشئة إلا بوجود الهواء، وبوجود الروح التي سوى بينهما، – بين الهواء وبين الروح– وقال بأنه كما أنّ النفس هي مبدأ كياننا ووحدتنا فكذلك الهواء يحوي العالم كله"، فنشأة هذا الكون إذن كانت من عنصر واحد وهو "الهواء"، وبحسب ما يطرأ عليه من التغيرات التابعة لشدة كثافته ولتخلخله أيضا.

وكان للمدرسة الأيونية جهدها في هذا المبحث وتحديدا مع:

1–4 هيراقليطس Heraclitus (535– 470)ق.م – النار أصل الوجود –

فيلسوف يوناني من أسرة أرستقراطية، كان يعتمد العقل بالدرجة الأولي، كما اعتبر أنّ "الحكمة ليست في تعدد المعارف وكثرتها بل في الإدراك المباشر للحقائق الجوهرية، حتى وإن عارضتها المظاهر الخارجية للأشياء" (قرني، 1993، صفحة 39)، ومن هذا المنطلق ذهب إلى أنّ النار هي الأصل الأول لجميع الأشياء، وكسابقيه فإنّ ما يحدث لهذا العنصر

من تكاثف ومن تحول يكون أساسا لموجودات مغايرة متباينة فيما بينها، إذ "يتغير بالتكاثف حتى يصير هواء، وهذا الهواء يتغير بالتكاثف ويصير ماء، وكذلك فإنّ عنصر الماء يصير بالتكاثف ترابا ثم ينعكس، فإذا تفرق التراب تغير وصار ماء، ثم الماء بالتفرق صار هواء، والهواء نارا به، فحينئذ الأصل الأول لجميع الأشياء هو النار" (المليطي، 2007، الصفحات 80-81)، وتجدر الإشارة إلى أنّ النار التي يقول بها هراقليطس ليست تلك التي تقول بها الأنا التجريبية وإنما هي في نظره مستويات فهي "نار إلهية لطيفة حية عاقلة أزلية وأبدية هي حياة العالم وقانونه، ومن هذه النار تنشأ نار أكثر وهنا وهي النار المحسوسة التي يتكاثف بعضها فيصير ماءا، ويتكاثف بعض الماء فيصير ترابا، ومن الماء والتراب تتصاعد أبخرة رطبة تتراكم سحبا، فتلتهب وتفرز البروق وتعود نارا أو تنطفئ هذه السحب فتكون الرياح وتعود النار إلى الماء، وترجع الدورة مرة أخرى، والتغير يحدث دوما في طريقين متعارضين طريق إلى أسفل وطريق إلى أعلى، ومن تقابل هذين التيارين يتولد النبات والحيوان غير أنّ النار تتخلص شيئا فشيئا مما تحولت إليه فيأتي وقت لايبقى فيه سوى النار وهده هي الدورة التامة التي تتكرر إلى مالا نهاية وفق قانون ذاتي وضروري هو العقل، فالتغير متصل من الأشياء النار ومن النار إلى الأشياء، فالنار عند هراقليطس هي الإله، وأما النفس الإنسانية فهي بخار حار، هذه الحرارة التي تكون ضرورية للجسم وهي قبس من النار الإلهية تدبر الجسم وتنظمه كما تدبر النار العالم وتنظمه" (كيلاني، 2009، صفحة 27). وبهذا أتت المدرسة الأيونية مع واحد من أعلامها برأي نرى أنه مقاربا مفارقا للآراء التي أدلى بها فلاسفة المدرسة الميليسية، فأما المقاربة فالكل رأى أنّ هناك أسطقسا معينا نشأ منه هذا العالم وأما المفارقة فتكمن في تحديد هذا الأسطقس وتباينه من فرد لآخر.

إنّ المتأمل في ما أصدرة الفكر اليوناني في مجال الخلق وهذا في الإجابة عن السؤال الأنطولوجي والمتمثل في كيفية نشوء هذا العالم وتحديدا في ضبط المادة الأولية التي صدر عنها يجد أنّ الآراء تباينت فيما بينها في حدود ما يحتكم عليه هذا العالم من مواد أساسية في تشكيل لبنته الأساسية، فالماء عنصر ضروري لتواجد الحياة لذا جعل منه طاليس عنصرا أساسيا لتواجد الموجودات حتى وإن كان تفسيره ميثولوجيا بعيدا كل البعد عن الحقيقة العلمية الموضوعية فإنا نجد التفسير العلمي الحق والذي لاتشوبه أدنى شائبة وهذا في اعتبار الماء سر الحيوان ومنبعه وأنه ضروري لأي حياة كانت في قوله تعالى "**وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون"(سورة الأنبياء/ الآية 30)**، وننوه أنّ الغرض من ذكرنا هذا ليس لأجل مقاربة الفكر الطاليسي بالوحي لأنّ هذا من المفارقات التي لاينبغي للعقل أن يحيد عنها بحجة أنّ الفكر الطاليسي فكرا استمده من الميثوس ومن الأساطير اليونانية القديمة التي أدت دورا أساسيا في التنشئة الفلسفية للعقل اليوناني، مما يجعل مقاربة الوحي بالخرافة شيء من العبث العقلي، وإنما أردنا أن نشير إلى أنّ أسطقس الماء قد كان واردا في الفلسفة اليونانية مع طاليس وكيف جعل منه المبدأ الأول للحياة كما ورد في الوحي وفي النص القرآني من زاوية علمية موضوعية لايغفل عنها أي عاقل؛ ليسترسل البحث عن أصل هذا الكون مع ثلة من العقول الفلسفية التي كان لها وزنها في تاريخ الفكر الإنساني

كما كان يؤخذ برأيها وبفلسفتها وهذا في تفسير الحركة الأنطولوجية بتفاعلات ومتغيرات غير معينة كما كان مع أنكسمندريس وهذا في قوله بالأبيرون أي اللامتناهي، وبالتنشئة الوجودية للأشياء من خلال الحركة الديناميكية التي نرى أنها تقارب بشكل أو بآخر في جوهرها تلك النظريات الفلكية الحديثة وما جاء به العلم في نظرية الإنفجار الكبير؛ أو بقولبة غير المحدود –اللامتناهي– في عنصر بين ينظر إليه على أنه المطلق وهو الهواء وهذا كما أدلى به أنكسمنس، ليأتي هيراقليطس ويقول بمبدإ نرى أنه الأشد في تركيبته وهو النار الخالصة المطلقة التي تكون أساسا لوجود العالم المطلق وما يتفرع منه من عوالم.

تجدر الإشارة إلى أنّ البحث الأنطولوجي في الفكر اليوناني قد اتخذ منحى مغايرا تماما لما كان مع الفلاسفة الأيونيين الذين كان لهم وزنهم الثقيل في الفلسفة اليونانية وهذا حين جعلوا من المادة والشكل أساس تفلسفهم، إذ يعد بارميندس أول من خاض غمار البحث في الوجود المحض، الذي تجاوز فيه القول في الظواهر الحسية إلى القول في الوجود الأسمى الذي يمكن معرفته فقط عن طريق العقل غير الممزوج بالحواس ولا بالتجربة أي عن طريق الفكر المحض وفقط (كيلاني، 2009، صفحة 83)، فكان العقل عند بارمنيدس المصدر الأوحد لأي معرفة كانت.

انكب العقل الإنساني لحقب من الزمن في تأمل السؤال الأنطولوجي وسعى بكل ما أوتي من قوة فكرية لتحليل هذه القضية، ولم يتوقف في حدود الممارسات الفلسفية الأيونية وإنما راح يبحث في سؤال الكينونة وحقيقة وجود الإنسان والغاية من وجوده لتمد الفلسفة الوجودية الفكر الإنساني بتصورات ومواقف كان لكل منها ما يفسر به حقيقة هذا الوجود والغاية المرجوة منه، وهذا ما سنحلله عند واحد من فلاسفة الفكر الغربي وهذا في عنصر موال

2– مارتن هيدجر Martin Heidegger (1889–1976)م وسؤال الكينونة – Dasein–

"مارتن هيدجر" فيلسوف ألماني وهو الممثل الرئيسي للوجودية في الفلسفة الألمانية، هذا المبحث الذي اعتبره بشكل أو بآخر مجمل الفكر الفلسفي ومحور جميع قضاياه وإشكالاته فالفلسفة عنده "إنما هي أنطولوجيا فينومينولوجية كلية، تنبعث من تأويلية الدازاين، التي، من حيث هي تحليلية للوجود، هي قد حددت طرف الخيط الهادي لكلّ تساؤل فلسفي من أين ينبع وإلى أين يرتد" (هيدجر، الكينونة والزمان ، 2012، صفحة 738)، لذا يمكن القول أنّ البحث الفلسفي عند هيدجر هو في أساسه بحثا في الأنطولوجيا وما لفت انتباهنا – وحسب اعتقادنا– أنّ ما أتى به من فكر في المجال الأنطولوجي قد كان له طابعا ترسندنتاليا يقارب تراسندنتالية إدموند هسرل في مبحثه عن المطلق وكنه الأشياء الكامن في الأنا الترسندتالية، وما يجب أن نضبطه عندما نبحث في هذه الحيثية عند هيدجر (س.ي.جود، 1981، صفحة 139) أنه لم يكن معنيا بالوجود المتعين على غرار ما حللناه سابقا وإنما يبحث في الكينونة التي تسكن كل وجود. فإذا كان الفكر الفلسفي هو

في مجمله فكر حول المصطلح وما يحمله من دلالات ترسي دعائم الفكر الفلسفي برمته فإنا لنا مجالا لضبط هذا المصطلح وعلاقته في تحليل البعد الأنطولوجي من زاوية ميثافيزيقية، وعلينا أن ندرك تماما أن هيدجر يميز بين الوجود والكينونة وأنّ الوجود في حد ذاته يعد مدخلا للكينونة.

إذا كانت المهمة الأسنى والخالصة للفكر الفلسفي في تطلعه لحقيقة الشيء وبلوغ المطلقية التامة لكنه الأشياء وجوهرها، فإنها تمثل إيضاح معنى الوجود عند هيدجر كما تمثل تحليل الكينونة. هذه الأخيرة التي لا تكون باتباع منهجا محددا وإنما في التماس الأليثيا أي الإيضاح والكشف، ذلك أن هيدجر لايعتمد في تحليله للبعد الأنطولوجي منطق البرهنة، وإنما يرى في هذا المبحث أنه كل متكامل يجمع السائل الذي يسأل عن معنى الوجود بالوجود الذي يتساءل عنه، إذ لايمكن وحسب رأي هيدجر أن ننظر إلى الوجود على أنه قائم مستقل بذاته بمعزل عن الموجود ذاته، "فالوجود هو وجود الموجودات التي تستمد كلها منه وجودها الخاص بها. فعلينا أن نمضي من الموجود إلى الوجود، لكن الوجود نفسه ليس موجودا من الموجودات، بل هو ما يعطى الوجود لكل ما هو موجود. لا كعلة خارجية، بل كمبدأ أساسي قائم في عمق الموجودات، لذا لانستطيع أن ننعته سوى بالوجود فحسب" (بدوي، 1984، صفحة 600)، لذا نجد ركيزتين أساسيتين في فلسفة هيدجر والمتمثلة في الوجود وفي الموجود أيضا، والوجود هو الذي يجعل من الموجود موجودا. والتأمل الفلسفي لهيدجر في المجال الأنطولوجي ينم عن وجود حالات للوجود وأنماط مختلفة للموجودات، وحتى وإن كان الأمر كذلك فواجب البحث عن كنه الوجود الإنساني والذي يُعد من المهام الأولى التي يجب على العقل الفلسفي أن يخوض غمارها ويضبط مجالاتها، ذلك أنّ الإنسان هو "الموجود الوحيد الذي يستطيع أن يلقى موجودات أخرى، وأن يوجه إليها انتباهه وأن يتصل بها، وبالنسبة للإنسان وحده تكون هذه الموجودات منكشفة كما أنه هو وحده القادر على أن ينكشف لها. وهو الموضع الوحيد الذي يظهر فيه فهم الوجود.

تجدر الإشارة إلي أنّ هيدجر قد حلّل وأجاب على السؤال الأنطولوجي من حيثية تماهي الموجود بالوجود، فهو لم يفصل بينهما كما كان العهد مع الفلسفة الطبيعية في تحديد الأسطقس الذي انبثق منه هذا الكون، ولم يبحث عن الوجود الإنساني بعيدا عن عالمه بل كان عنده المبحث الأنطولوجي هو مبحث عن الموجود في هذا الوجود، "فالمشكلة التي تستحوذ على اهتمام هيدجر وتستمر مستحوذة عليه هي مشكلة الوجود ومعنى الوجود، وهذه المشكلة التي تظل متقدة ليست مشكلة الجنس العام للوجود، ولاهي كذلك مشكلة الإنسان المتميز أوليّا عن الموجودات الأخرى، إنها مشكلة الوجود معتبرا في عموميته، ومن حيث هو كذلك" **(Maurice, 1961, p. 2)**، فالوجود والموجود عند هيدجر يحيل كل منهما إلى الآخر، ويمكن القول أنه لاوجود لأحدهما دون الآخر ولقد حدد (سليمان، 2009، صفحة 99) أولويات الوجود الإنساني دون سائر الموجودات من أوجه عدة، منها: أنه وجود حقيقي أي أنّ هذا الموجود يتحدد وجوده من خلال التواجد، وأنه

أنطولوجي أي أنّ الموجود الإنساني في نفسه أنطولوجي، لأنه يحدد تواجده، يفهم التواجد لابوصفه الموجود المعياري لسائر الموجودات، كما أنه الشرط الأنطولوجي الوجودي لإمكانية كل أنطولوجيا.

2-1 الكينونة

الكينونة هي التصور الأعم والأفرغ. تصور أعم إلا أنه غير قابل للتعريف كما ليس به حاجة لأن يعرف، إنها التصور الأكثر كلية، وأنّ "كلية الكينونة ليست كلية الجنس، فهي لاتحيط بالناحية العليا للكائن، فكلية الكينونة تتخطى كل كلية من جهة الجنس وبالتالي هي شيء متعال" (هيدجر، الكينونة والزمان ، 2012، صفحة 51)، كما أنه لايمكن أن نجعلها من مشتقات الكائن أو حتى ينسب إليها الكائن، فهي "التصور المفهوم بنفسه"ذلك أنّ في كل معرفة وتلفظ في كل سلوك إزاء الكائن، في كل سلوك إزاء – ذات– أنفسنا إنما يتم إستعمال "الكينونة، فالكل يفهم أمورا متنوعة "بيد أنّ هذه المفهومية الوسطية لاتبرهن إلا على عدم المفهومية" والوسطية إنما نقصد بها من حيث دلالتها على ماهو عادي ويومي ومألوف، إننا نعيش في كل مرة ضمن فهم ما للكينونة، وأنّ معنى الكينونة إنما هو في الآن نفسه محفوفا بالغموض، والكينونة تعني الحضور هذا الأخير الذي لم يتم بعد التفكير فيه بشكل يؤدي تمام المعنى، فوجب التفكير فيه من خلال الزمن ومن خلال المدة والإستمرار، "لكن الزمن رغم أنه يجري ويمر باستمرار، فهو مع ذلك يظل زمنا ولا يتخلى عن زمنيته أي عن كونه زمنا، فالدوام والإستمرار لايعني الإنمحاء أو الغياب أو الإختفاء بل البقاء والتقدم المستمر نحو الكينونة أي الخضور المستمر للكينونة حضورا أصليا مع الزمن من حيث هو زمن – ديمومة. (سبيلا، 2016، صفحة 471)، لننتقل غلى مصطلح جوهري في الفلسفة الهايدجرية حتى يمكن القول أنه يرتبط ارتباطا لزوميا بنتاجه الفلسفي الذي استعصى على كثيرين تدبره واستساغته، والمتمثل في:

2-2 الآنية – Dasein

الآنية المصطلح العربي المستخدم للتعبير عن مفردة الدازين، أو "الوجود الإنساني الذي يكون دائما على علاقة بالوجود العام ويتميز دون سائر المخلوقات بفهم هذا الوجود والسؤال عنه" (هيدجر، نداء الحقيقة ، 1977، صفحة 26)، يصطلح هيدجر على الوجود الإنساني بالدازاين، أي الوجود الأنطولوجي الذي يبدأ من خلال وجودي إلى الكشف عن وجود الآخر، وعلى التحليل الأنطولوجي أن يأخذ في الإعتبار كل أحوال الوجود، ويلخص لنا عبد الرحمن بدوي في موسوعته (بدوي، 1984، صفحة 600) أحوال وجود الدازاين كما فصل فيه هيدجر في ماخطه من "الكينونة والزمان"، على أنّ اول خاصية جوهرية إنما تكمن في أنّ وجود الآنية يختلف تماما عن وجود باقي الأشياء الأخرى فالآنية محكومة بقانون عدم التعيين أي أنه غير ثابت، متغير من فرد إلى آخر؛ والخاصية الثانية أنّ الوجود الإنساني يتجلى على أنه إمكان

وجود،، إنه ينبوع للإمكانات، واستعداد لتحقيقها، إنه يميل دائما لأن يعطي نفسه المزيد، ولما لم يكن بعد ما سيكونه فيما بعد،فإنه ما ليس إياه، وبالتالي أكثر مما هو بالفعل، إنه إمكان نفسه باستمرار، إنه يقدم نفسه في إمكانياته الخاصة، وبالتالي تعتبر الآنية مشروع لتحقق النفس بصورة مستمرة، وقي هذا المشروع ينكشف إمكان وجود الآنية، الآنية مشروع الذات الإنسانية باستمرار، أما الخاصية الثالثة لوجود الإنسان هي الحرية، الآنية حرة وتكمن هذه الحرية في تحديد تقوم به الحرية، لتعيين ذاتها، فأنا الذي أقرر طريقة وجودي بنفسي، وذلك باختياري لأجد أوجه الممكن المتاحة أمامين وهكذا فإني أختار نفسي في وجودي وأنا مسؤول عن ذاتي.

فالآنية Dasein– الموجود– هناك "أي الكائن الملقى به في العالم الموجود فيه دائما بالقرب من الأشياء ومع غيره من الناس، المتميز عن سائر الكائنات بعلاقته بالوجود، واهتمامه بالسؤال عنه" (هيدجر، نداء الحقيقة ، 1977، صفحة 49)، هي في سبق على نفسها باستمرار، إنها دائما تسبق ذاتها، هي بالضرورة خارج ذاتها هي في العالم، وهذا الحضور في العالم هو أول ما يتجلى لنا حين نلتفت إلى الوجود الإنساني، فالآنية تفهم ذاتها مما هو ليس إياها، وهي مرتبطة بالعالم ارتباطا ضروريا. ومع هذا يرى هيدجر (هيدجر، الكينونة والزمان ، 2012، صفحة 66) أنّ الدازاين إنما يملك أولية متعددة على كل كائن آخر، فأما الأولية الأولى فهي **أنطيقية**: هذا الكائن متعين ضمن كينونته بواسطة الوجود، وأما الأولية الثانية فإنها **أنطولوجية**: إنّ الدازاين على أساس تعين الوجود الذي من شأنه هو في ذات نفسه أنطولوجي –بمثابة مقوم لفهم الوجود– أن يكون له فهم لكينونة كل كائن ليس من جنس الدازاين، ولهذا فإنّ للدازاين أولية ثالثة من جهة ماهو شرط إمكان أنطيقي–أنطولوجي لكل الأنطولوجيات، وهكذا فإنّ الدازاين قد أثبت نفسه بوصفه ما ينبغي أن يساءل على الصعيد الأنطولوجي، في المقام الأول وذلك قبل كل كائن آخر.

2–3 في لحظات الوجود

ذهب هيدجر إلى أنّ الوجود في العالم ينطوي على ثلاث لحظات هي:

- **العالم**: وهو البادي للوهلة الأولى أنه البعد الذي يحوي الآنية، وما يجعل الموجودات في داخل العالم ممكنة، والعالم، هذا عن الوجود المادي وأما الوجود الكياني – الدازاين– فإنه يختلف مع الوجود الآداتي الذي يخدمني لأنّ الآنية تصطدم بمن تتقاسم العالم وإياهم، فالعالم الذي نسكنه معا هو عالم مجيط ويقصد به عالم مع، عالم مشترك نحن موجودون فيه، ومتى ما وجدت وجدت مع الآخرين، ومتي ما وجد الإنسان عاش في نوع من الإنفتاح يدخل فيه الغير ويتجلى له. فالوجود الإنساني هو وجود هو في أصله وجود مع، وهيدجر لايستثني من الوجود مع حتى تلك الحالات التي يمر بها الإنسان وهو في حالات الوحدة والعزلة والإنفراد.

- **الوجود – في:** ومن بين ما يتضمنه من خصائص: **الموقف** وهو الذي يكشف عن الحال الأساسية في الإنسان،شعوره بأنه قائم هناك في العالم تجاه الغير. الآنية تحس تشعر أنها موجودة وأنها كائنة، فالموقف يضع االإنسان أمام وجوده، فيكشف له عن حال وجوده هناك. إنه الهناك الذي ينفتح على العالم، والهناك بمعنى مرميون هناك متورطين في هذا المحيط ومن دون إرادتنا، شعور يتضمن أننا موجودون في هذا العالم، أما الخاصية الثانية فهي **الفهم:** الآنية تفهم العالم كما تفهم وجودها في العالم والفهم إنما يكون بتحقيق الممكنات، والسعي إلى الكشف عنها.

- **السقوط،** أي السقوط في العالم والذي يتميز بملامح رئيسية هي الإغراء، الطمأنينة الظاهرية، مغايرة الذات، والموحل، والإغراء أبرز هذه الملامح، لأنّ السقوط معناه أن يُغرى الإنسان بالوجود السهل، وجود الآخر ورفض الذات، وما يصاحب هذا من أفعال مسترسلة، وأما الخاصية الثانية للسقوط فهي الطمأنينة فتنشأ من كوننا قد استندنا إلى رأي ال آخرين، فأشاع ذلك الطمأنينة في نفوسنا، لكنها طمأنينة ظاهرية فحسب، ولاترضي ولاتُقنع، والخاصية القالقة وهي مغايرة الذات الناجمة عن توافقها مع العالم، إنّ الآنية قد قررت ضد نفسها بتوافقها مع الغير، وبذلك فقد إمكانياتها الصحيحة، لقد تخلت عن شخصيتها الحقيقية. والخاصية الرابعة للسقوط وهي الموحل، أي الإنغراس في وحل الآخرين (بدوي، 1984، صفحة 604). ومع هذا فإنّ السقوط في حد ذاته هو نفسه وجود الآنية.

ومجمل ما يمكن قوله في الفلسفة الكينونية لهيدجر أنها الآنية – Dasein محكومة بالوعي، فالآنية تمتلك الكينونة كما أنها تعي ذلك، إذن وحده الإنسان الذي يتجاوز كينونته نحو وجوده وهذا من خلال أفعاله، خياراته وحريته.

3. الزمان

يربط هيدجر بين المبحث الأنطولوجي والزمان، ويرى أنه لايمكن بأي حال من الأحوال إمكانية تحديد الأول إلا بوجود الثاني، ذلك أنّ المتأمل في الأشياء يجد أنّ لكل شيء زمنه الخاص "وهذا معناه أنّ كل ماهو في الزمان، كل موجود، يأتي ويمضي في اللحظة المناسبة" (هيدجر، التقنية – الحقيقة – الوجود، 1947، صفحة 89)، وهنا يتساءل هيدجر إن كان الوجود شيء؟ وهل له مثل بقية الموجودات زمنه الخاص داخل الزمان؟ ومنه إلى التساءل: هل الوجود موجود؟ فإذا كان موجودا فهذا يؤدي إلى ضرورة تحديد شيئية الموجود، وبالتالي يتحول الوجود إلى موجود، ومن ثمة يكون موضعه مع بقية الكائنات الموجودة!، فأين نعثر عليه، هنا يجيب هيدجر بإستحالة العثور عليه فلن "نعثر على الوجود في أي مكان بين الأشياء، إنّ لكل شيء زمانه الخاص، ولكن الوجود ليس شيئا، إنه لايكون في الزمان، ومع

ذلك فهو يظل، من حيث هو حركة اقترابه من التجلي والانتشار، ومن حيث هو حاضر، محددا بالزمان، أي بما يستقر فيه ويتعلق به (هيدجر، التقنية – الحقيقة – الوجود، 1947، صفحة 90)، ليواصل هيدجر تحليله لفلسفة الزمان وكيف أنه والوجود يتحددان بالرجوع إلى بعضهما البعض على أن لايكون أيا منهما إلا بكون الآخر، لأنهما يشكلان الوحدة الأساسية للمبحث الأنطولوجي.

تعتبر قضية الكينونة من القضايا التي أمدت الفكر الإنساني عامة والفكر الفلسفي خاصة ببعد جديد في كيفية التعامل مع القضايا الأنطولوجية بنهج متعال خالص يمكن أن نقول عنه أنه تجاوز الخطابات المرتبطة بالتجربة الإنسانية إلى خطابات تراسندنتالية استطاعت أن تقف على الأبعاد المؤسسة لهذا الكيان المادي والكيان الحيوي والإحاطة به من مختلف جوانبه ومجالاته، وتجدر الإشارة أنّ سؤال الكينونة عند هيدجر لايقف عند هذه النقاط التي ذكرناها بإيجاز وإنما هي فلسفة قائمة بذاتها لها من المباحث والقضايا ما تحلل البعد الأنطولوجي من جانبه الزمكاني ومن جوانب لم ينتبه إليها العقل من قبل.

خاتمة

يُعد المبحث الأنطولوجي من ضمن المباحث الميثافيزيقية الكبرى التي عرفها – ولا يزال – تاريخ الفكر الفلسفي، ذلك أنّ البحث عن أصل هذا الوجود والبحث في أصل الموجود أيضا قد شغل العقل الإنساني منذ عصور ما قبل الميلاد إلى يومنا هذا ولعلّ أهم ما خرجنا به من دراستنا هذه أنّ سؤال الأنطولوجيا قد ابتدأ بالبحث عن جانبه المادي التجريبي بأساليب وآليات ميثافيزيقية – ميتوسية إن دققنا التعبير – لينتهي بتراسندنتالية قحة تحلل حقيقة الوجود والموجود وعلاقة هذا بذاك قي تأسيس عوالم المواد والدواب والذوات.

لم يكن هناك بد للعقل الفلسفي إلا أن يبحث في سؤال الوجود، فكان هذا مع فلاسفة الفكر اليوناني الذين كان همهم الأول والأخير هو البحث عن أصل هذا الكون وأصل جزئياته لتتباين الآراء بالقول بواحد من الأسطقسات الأربعة أو حتى بالجمع بينها متداركين أنّ ما يقصده هؤلاء إنما هو بالمادة المطلقة لاالتجريبية المحسوسة، كما أنّ لتفاعلاتها والتحولات الكامنة فيها قد أدى إلى وجود جزئي آخر، إلا أنّ الفكر قد استرسل في الفكر الفلسفي الحديث ليتجاوز البحث عن الوجود إلى البحث في الوجود والبحث في الموجود وكيف أنّ كل واحد منهما يشكل شرط وجود الآخر وهذا ما لمسناه في سؤال الكينونة – **Dasein** والتي فلسف فيها هيدجر حقيقة الوجود والموجود بآليات متعالية لم يهمل فيها – حسب رأينا – أدنى التفاصيل المتعلقة بتحليل البعد الأنطولوجي ببعديه المادي والروحي.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

- أحمد فؤاد الأهواني. (1954). *فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط* . مصر : دار إحياء الكتب العربية .
- جعفر آل ياسين. (2012). *فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط*. لبنان: دار ومكتبة اللبصائر .
- جمال محمد أحمد سليمان. (2009). *مارتن هيدجر الوجود والموجود* . مصر : دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع .
- جوناثان رى. (2013). *الموسوعة الفلسفية المختصرة* . القاهرة : المركز القومي للترجمة .
- س.ي.جود. (1981). *مدخل إلى الفلسفة المعاصرة* . بيروت: مؤسسة نوفل.
- طاليس المليطي. (2007). *تاريخ الفلاسفة* . القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية .
- عبد الرحمن بدوي. (1984). *الموسوعة الفلسفية* . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عزت قرني. (1993). *الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون* . الكويت: جامعة الكويت .
- مارتن هيدجر. (1947). *التقنية – الحقيقة – الوجود*. بيروت : المركز الثقافي العربي .
- مارتن هيدجر. (1977). *نداء الحقيقة* . القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر .
- مارتن هيدجر. (2012). *الكينونة والزمان* . ليبيا: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- مجدي كيلاني. (2009). *الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون –دراسة مصدرية–*. المكتب الجامعي الحديث: الإسكندرية .
- محمد سبيلا. (2016). مصطلحات هايدغرية . *الإستغراب* ، 471.

المراجع باللغة الأجنبية

- BURNET, J. (1919). *L'AURORE de la PHILOSOPHIE GRECQUE*. PARIS: édition FRANCAISE PAR AUG. REYMOND.
- Maurice, C. (1961). *La philosophie de Heiddegger*. Paris: Press universitaires de France.